

محمد عطية الإبراشي

# قِصَّةُ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ

قِصَصُ إِسْلَامِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ

مكتبة مصر  
٢ شارع كامل صدقي - الجيزة

ملتزم الطبع والنشر



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بُنَى الْعَزِيز :

سَأَذْكُرُكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ قِصَّةَ جَمِيلَةٍ  
عَنْ حَيَاةِ صَلاَحِ الدِّينِ ، وَكَيْفَ تَرَبَّى وَهُوَ  
صَغِيرٌ ، لِيَكُونَ بَطَلًا عَظِيمًا وَهُوَ كَبِيرٌ .

مَوْلِدُهُ :

وُلِدَ صَلاَحُ الدِّينِ فِي بَلَدَةٍ صَغِيرَةٍ هِيَ  
تِكْرِيتُ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ سَنَةَ ( ٥٣٢ هِجْرِيَّةً  
و ١١٣٧ مِيلَادِيَّةً ) مِنْ أُسْرَةٍ (عَائِلَةٍ) كُرْدِيَّةٍ  
كَرِيمَةِ الْأَصْلِ .

وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا صَلاَحُ الدِّينِ  
يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ قَدْ أَمَرَ حَاكِمُ تِكْرِيتَ



بَطَرْدِ أَبِيهِ أَيُّوبَ ، وَعَمَّهُ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهُ  
مِنْ تِكْرِيَتِ .

فَتَشَاءَ مَنْ أَبُوهُ كُلَّ التَّشَاؤُمِ مِنْ وَلَادَتِهِ ،  
حَتَّى أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ حِينَمَا سَمِعَهُ يَصِيحُ ،  
وَالْأُسْرَةَ كُلَّهَا خَارِجَةً مِنْ تِكْرِيَتِ إِلَى  
بَلَدَةٍ أُخْرَى .

فَنَصَحَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ أَلَّا يَمَسَّ  
هَذَا الطِّفْلَ الْمَظْلُومَ الْبَرِيءَ ، لِأَنَّهُ لَمْ  
يُرْتَكِبْ أَيْ ذَنْبٍ ، وَلَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا يُعَاقَبُ  
عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُحْسَسْ بِمَا جَرَى لِأَبِيهِ . وَأَمَرَهُ  
أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ :

أَرْجُوا أَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ فِي ابْنِكَ هَذَا ، وَيَجْعَلَ  
لَهُ مَرْكَزًا عَظِيمًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، عِنْدَمَا يَكْبُرُ .  
تَرَكْتَ الْأُسْرَةَ تِكْرِيَتِ ، وَتَرَكَهَا أَبُوهُ وَعَمَّهُ



وَالْجَمِيعُ فِي شِدَّةِ الْكَدْرِ وَالْحُزَنِ . وَانْتَقَلَتْ  
إِلَى مَدِينَةِ الْمُؤَصِّلِ بِالْعِرَاقِ ، فَأَكْرَمَهَا حَاكِمُهَا  
كُلُّ الْإِكْرَامِ ؛ لِأَنَّ أَبَا صَالِحِ الدِّينِ كَانَ قَدْ  
أَكْرَمَهُ فِي تَكْرِيتٍ مِنْ قَبْلُ ، فَرَدَّ لَهُ الْجَمِيلَ ،  
وَأَعْطَاهُ وَأَعْطَى أَخَاهُ ضَيْعَةً ( عِزْبَةً ) كَبِيرَةً  
مِنَ الْأَرْضِ الزَّرَاعِيَّةِ لِزِرَاعَتِهَا ، وَالِانْتِفَاعِ  
بِحَاصِلَاتِهَا .

وَعَاشَتْ أُسْرَةُ صَالِحِ الدِّينِ مُعَزَّزَةً تَجِدُ  
كُلَّ تَكْرِيمٍ بِالْمُؤَصِّلِ .

### تَرْبِيَّتُهُ وَتَعْلِيمُهُ :

وَرِثَ صَالِحُ الدِّينِ عَنْ أَبِيهِ الذِّكَاءَ وَسُرْعَةَ  
الْفَهْمِ . وَلَمَّا بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ سِنَّ الدِّرَاسَةِ  
وَالْتَعَلَّمَ أَرْسَلَهُ أَبُوهُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَاخْتَارَ



لَهُ أَحْسَنَ الْمُعَامِلِينَ ، وَاهْتَمَّ بِتَرْبِيَّتِهِ وَتَعْلِيمِهِ  
كُلَّ الْإِهْتِمَامِ ، فَتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ فِي  
مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ ، ثُمَّ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ،  
وَدَرَسَ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ ، وَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ  
الْعَرَبِيَّةَ وَقَوَاعِدَهَا .

وَقَدْ عُرِفَ صَلاَحُ الدِّينِ بَيْنَ زُمَلَانِهِ فِي  
الْمَدْرَسَةِ بِالْهُدُوءِ مَعَ الذِّكَاةِ ، فَكَانَ هَادِئُ  
الطَّبْعِ ، يُحِبُّ النِّظَامَ ، وَلَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ ،  
وَلَا يَمِيلُ إِلَى الضَّوْضَاءِ .

وَكَانَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْفِتْيَانِ الَّذِينَ مِنْ سِنِّهِ  
اخْتِلَافًا كَثِيرًا ؛ فَهُوَ كَانَ مُحِبًّا لِلْمُطَالَعَةِ  
وَدِرَاسَةِ الْكُتُبِ ، وَالِاطْلَاعِ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ  
حُبِّهِ لِللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ، وَهُمْ كَانُوا يَجِدُونَ لَذَّةً  
وَسُرُورًا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ أَكْثَرَ مِنْ الْقِرَاءَةِ وَالنَّعَامِ .



ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ مِنْ  
بِلَادِ الشَّامِ . وَكَانَ لِأَبِيهِ مَنْزِلَةٌ كَبِيرَةٌ بِهَا .  
وَفِي دِمَشْقَ مَكَثَ صَاحِبُ الدِّينِ أَكْثَرَ  
مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً مِنْ حَيَاتِهِ .

وَقَدْ اسْتَمَرَ صَاحِبُ الدِّينِ مُحِبًّا لِلدِّرَاسَةِ  
وَالِاطِّلَاعِ . وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَنِ الْعُلَمَاءِ ،  
وَدَرَسَ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْكَبِيرِ .

وَكَانَ يَمِيلُ كَثِيرًا إِلَى الْإِسْتِمَاعِ لِلْعُلَمَاءِ  
وَالْأُدَبَاءِ وَالْفُقَهَاءِ ، حَتَّى صَارَ عَالِمًا أَدِيبًا  
مُتَقَفًّا وَهُوَ شَابٌّ . وَاقْتَدَى بِأَبِيهِ وَعَمِّهِ .

تَعَلَّمَهُ الْفُرُوسِيَّةَ ، وَمَهَارَتَهُ الْحَرْبِيَّةَ :

لَمْ يَنْسَ أَبُوهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْفُرُوسِيَّةَ ، كَأَبْنَاءِ  
الْأَشْرَافِ وَالْعَرَبِ ، وَيُدَرِّبَهُ عَلَى اسْتِغْثَالِ



الأدوات الحربية ، وطرق القتال . فأظهر  
مهارة حربية كبيرة أذهشت أباه .  
وقد ظهرت فروسيته وشجاعته وإقدامه  
حينما اشترك في الحرب .

ولانتعجب ، فقد قرأ صلاح الدين كثيرًا  
عن الأبطال الذين يدافعون عن أوطانهم  
وبلادهم ، فاشتاق نفسه للدفاع عن الوطن  
والمظلومين والمعذبين .

وحينما بلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة  
تقدم إلى ميدان القتال للمرة الأولى من  
حياته ، فقد أرسل السلطان نور الدين  
حاكم سورية جيشًا إلى مصر ، ليخلصها من  
( الإفرنج ) الذين أغاروا عليها وهاجموها .  
وجعل عم صلاح الدين - وهو أسد الدين



شِيرْكُوهُ - قَائِدًا لِذَلِكَ الْجَيْشِ .

سَفَرُهُ مَعَ عَمِّهِ إِلَى مِصْرَ :

ذَهَبَ صَلاَحُ الدِّينِ الوَطَنِيُّ المَخْلِصُ ، مَعَ  
عَمِّهِ إِلَى مِصْرَ ؛ لِلدَّفَاعِ عَنِ الإسْكَندَرِيَّةِ  
الَّتِي هَجَمَ عَلَيْهَا العَدُوُّ هَجَمَاتٍ كَثِيرَةً . وَهُنَا  
تَحَقَّقَتْ مَبُولُ صَلاَحِ الدِّينِ فِيمَا اشْتَاقَتْ  
نَفْسُهُ إِلَيْهِ . وَأَظْهَرَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْبَطُولَةِ  
مَا أَذْهَشَ جَمِيعَ القُوَّادِ . وَطُرِدَ الأَعْدَاءُ مِنَ  
الإِفْرَنْجِ ، وَتَمَّ النِّصْرُ لِجَيْشِ عَمِّهِ ( شِيرْكُوهُ )  
فَعَيَّنَهُ الخَلِيفَةُ الفَاطِمِيَّةُ بِمِصْرَ وَزِيرًا لَهُ .  
فَأَقَامَ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ صَلاَحُ الدِّينِ فِي قَصْرِ  
جَمِيلٍ بِالقَاهِرَةِ ، تُحِيطُ بِهِ الحَدَائِقُ الوَاسِعَةُ ،  
وَيَقْرُبُ مِنْ نَهْرِ النِّيلِ ، العَذْبِ الجَمِيلِ .



## صَلاَحُ الدِّينِ يَبْحَثُ أحوَالَ الْمِصْرِيِّينَ :

بَدَأَ صَلاَحُ الدِّينِ يَتَقَرَّبُ إِلَى الشَّعْبِ  
الْمِصْرِيِّ الْكَرِيمِ ، وَيَخْتَلِطُ بِجَمِيعِ طَبَقَاتِهِ :  
الْغَنِيَّةِ وَالْفَقِيرَةِ وَالْمُتَوَسِّطَةِ ، وَيَبْحَثُ أحوَالَ  
مِصْرَ وَالْمِصْرِيِّينَ ، وَيَدَقِّقُ فِي كُلِّ مَا يَرَى  
وَمَا يَسْمَعُ . فَأَعْجَبَ بِهِ الْمِصْرِيُّونَ ، وَأَحَبُّوهُ  
كُلَّ الْحُبِّ ، وَتَمَنَّوْا أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ  
الَّذِي يَتَوَلَّى فِيهِ أُمُورَهُمْ ، لِيُخَلِّصَهُمْ مِنْ  
ظُلْمِ الْحُكَّامِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَالْإِسْتِبْدَادِ وَالشَّدَّةِ  
فِي الْمَعَامَلَةِ .

وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَمَنَّاهُ الشَّعْبُ الْمِصْرِيُّ ؛  
فَبَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ مَاتَ عُمُّهُ ( شِيرَكُوهُ ) .  
فَحَزَنَ عَلَيْهِ صَلاَحُ الدِّينِ حُزْنًا شَدِيدًا ؛



لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ عَمَّهُ ، وَكَانَ عَمَّهُ يُحِبُّهُ .  
وَقَدْ اخْتَارَ الْخَلِيفَةُ الْفَاطِمِيُّ بِمِصْرَ صَلاَحَ  
الدِّينِ وَزِيرًا لَهُ بَدَلًا مِنْ عَمِّهِ ، فَخَفَّفَ  
ذَلِكَ الْإِخْتِيَارُ مِنْ شِدَّةِ حُزْنِهِ عَلَى عَمِّهِ .  
عَرَفَ صَلاَحُ الدِّينِ أَحْوَالَ الْبِلَادِ فِي السَّنَوَاتِ  
الَّتِي عَاشَهَا بِمِصْرَ ، فَعَزَمَ فِي نَفْسِهِ عَزْمًا  
أَكِيدًا أَنْ يَقْضِيَ عَلَى الْمَظَالِمِ ، فَلَنَشَرَ  
الْعَدْلَ التَّامَّ بَيْنَ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ ، وَأَخَذَ  
لِلْمُظْلُومِ حَقَّهُ مِنَ الظَّالِمِ ، وَمَنَعَ الرِّشْوَةَ ،  
وَاهْتَمَّ بِالرَّيِّ ، وَنَظَّمَ تَحْصِيلَ الضَّرَائِبِ ،  
وَفَتَحَ بَابَهُ لِطُلَّابِ الْحَاجَاتِ ، وَأَعَدَّ جَيْشًا  
مِصْرِيًّا قَوِيًّا ، فَأَحَبَّهُ الْمِصْرِيُّونَ ، وَأَخْلَصُوا لَهُ .  
وَقَدْ عُنِيَ صَلاَحُ الدِّينِ حَاصِلًا بِمِصْرَ  
وَعُمُرُهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ حُرَّاسًا



مِنْ جُنُودِهِ الْمُخْلِصِينَ لَهُ .  
وَأَتَتْ الْوُفُودُ مِنَ الْبِلَادِ تَهْنِئُهُ ، وَتَدْعُو  
لَهُ ، وَتَرْجُو أَنْ يَكُونَ عَصْرُهُ عَصْرَ سَعَادَةٍ  
وَإِصْلَاحٍ لِلْبِلَادِ .